الفصل الثالث

- التخيل
- الخيال
- العبقرية
- الموهبة

المفاهيم المرتبطة بالإبداع :

ذكرتُ أن غموض الإبداع أدى إلى خلط بعض المفاهيم الأخرى والقريبة الشبه منه إلى استخدامها على أنها إبداع وأصبحت هذه المفاهيم لا فرق بينها وبين مفهوم الإبداع . ولكنني سوف أتناول هذه المفاهيم في هذا الفصل حتى تضح الرؤية للمهتمين بدراسة الإبداع في وجود فرق بين الإبداع وهذه المفاهيم:

فمن هذه المفاهيم :

أولاً : **التخيل** Imagination

يعرف بأنه أحد السلوكيات الوجدانية للإبداع Creativity ويعرف التخيل على أنه التخيل التأليفي الذي ينسج من صور المحسوسات الأفكار ، ويألف فيما بينها مكونات تركيبية جديدة تأخذ طابع الإبداع.

تقوم عملية التخيل على إنشاء علاقات جديدة بين الخبرات السابقة بحيث تنظمها في صور وأشكال لا خبرة للفرد بها من قبل ، أي أن التخيل يستعين بتذكر الماضي ويستضيء بالحاضر ويستطرد ليؤلف تكوينات عقلية جديدة في المستقبل.

ولقد استطاعت بعض الدراسات النفسية في مجال النمو والارتقاء أن تحدد متى يمكن أن يكون بوسع الفرد أن يستجيب استجابات خيالية لأول مرة ، بحيث يصل إلى ترتيب الخبرات السابقة والتأليف بينها ، وقد أظهرت بعض الدراسات أن بعض الأطفال يمكن استخدام خيالهم قبل أن تنمو لديهم وظيفة الكلام ، فيوجه خيال الطفل إلى أنشطة إبداعية في مجال القصص والتمثيل الموسيقي ، ويمثل الخيال واللعب والتمثيل شيئاً واحداً في حياة الفرد المبدع وأن أبرز ما يميز هذه

الوظائف الثلاثة هو اعتمادها على التلقائية ، والتلقائية هي الاستجابة التي تصدر بدون منبه خارجي ، بل بدوافع داخلية.

فعملية التخيل منتجة تتخير من الصور الماضية ما توافق مع غرضاً معيناً ويرجى الوصول إلى نتيجة مقصودة ، فهي عملية أساسية تسير أفكارنا على هداها ، ونرسم بها خطوات في أعمالنا اليومية ، فالتخيل عين نبصر بها للمستقبل ، و نرسم له الخطط المناسبة والسلوكيات الملائمة ، كما أن نشعر من خلالها بسرورنا وأحزاننا ، وكل ما تقدم عليه قبل وقوعه .

وظائف التخيل :

يصنف التخيل حسب وظائفه إلى عدة تصنيفات :

١- تخيل الاستعادة : حيث يتم استعادة الخبرات السابقة المرتبطة بموضوعات أو أحداث معينة مع وعي الفرد بأنها تمثل خبرات حدثت له في الماضي ، ويعتمد تعريف أرسطو للتخيل على هذا المعنى ، قال : إنه (أي التخيل) صورة ذهنية تستحضر الإدراك الحسي الذي أنتجها ، ولا يمكن أن تنشأ منفصلة عنه.

٢- التخيل التوقعي : يتم توقع أحداث المستقبل ، وخاصة ما يتصل بتحقيق هدف معين أو تخيل حركة أو خطوات من شأنها أن تحقق الهدف.

٣- التخيل الإنشائي ، الإبداعي : ويتمثل في إعادة تركيب ما تم استعادته من خبرات وأحداث سابقة بطريقة مبتكرة ، ويتم ذلك بوصفه هدف في حد ذاته، كما يمكن أن يكون نوعاً من التخطيط لفعل معين ، و بفضل قدرة الإنسان على التخيل الإنساني (الإبداعي) يستطيع أن يخلق عوالم جديدة وخبرات ترضي طموحه ، وحاجاته.

٤- تخيل تحقيق الأهداف : فيكون الطفل سلبياً في هذا التخيل إلى حدٍ ما ، حيث تمزج خبراته الماضية وباختيار منه كما حدث في أحلام اليقظة ، وعادة تكون سارة ، وتخيل نوعاً من تحقيق الرغبات ، إلا أنها قليلة الارتباط بالواقع ، وإذا ما اتصلت بالواقع تكون غالباً محققة للنزوات . وغالباً ما تكون معبرة عن حالة مرضية.

فالتخيل لدى الأطفال عملية عقلية تعتمد على تكوين علاقات جديدة بين خبرات سابقة ، وهذه الخبرات تنظم في أشكال وصور جديدة ، لم يألفها الفرد من ذي قبل ، والتخيل يصل بين ماضي الفرد المبدع وحاضره ، بل ويمتد إلى مستقبله، ولذلك فهو أساسي للإبداع.

كما أن للتخيل دور مهم في الصحة النفسية للفرد ، حيث إنه السبيل الوحيد للإفصاح عن الرغبات الداخلية والدوافع الغريزية ، وحيث أن النشاط الغريزي هو السائد في حياة الفرد ، ولهذا يتخيل و يصبح قادراً على تحويل التخيل إلى نشاط ينسجم مع الواقع ، أي يتحول إلى تفكير ، وبناء عملية التفكير ليس إلا تخيلاً معدلاً وفقاً لمقتضيات الواقع.

ويذكر أحمد ذكي محمد (١٩٤٩) أن التخيل يمتاز بعدة سمات مثل:

- الميل إلى المبالغة .
- الميل إلى التحرر من القيود.
- الصيغة الذاتية .
- النزعة إلى التنقل.
- عدم الخضوع للنقد .

فالميل إلى المبالغة في الخيال عند الفرد يجعل خياله حياً دائماً ، وكثير الامتداد ، ولكن هذه الكثرة ليست نتيجة لوفرة الصور الماضية ، أو القدرة على التركيب ، ويعزي ذلك إلى نقص في قدرته على الحكم والنقد ، وعجز عن

تقدير قيمة خياله ، وقد تبين من تحليل هذه الأخيلة أنها فقيرة في صورها الأولى ، وأنها نشأت عن طريق المتشابهات المستمدة من خبراتهم المحدودة ، وهذه المتشابهات مرنة إلى حدٍ كبير ، ولم يهذبها الحكم والنقد .

وإذا ما تابعنا عرض "تورانس" (1969) Torrance للدراسات التي تناولت خيال الفرد عبر عمره الزمني متتبعة نمو التخيل لديه ، نجد أن الدراسات الخاصة بمراحل النمو أثناء سنوات ما قبل المدرسة ، تثبت أن الفرد يبدأ متخيلاً لقصور إدراكه ، و يعوض بالتخيل نقص معلوماته ، ومع التقدم في العمر الزمني يزداد الإدراك وينخفض التخيل.

شكل (١)

مراحل العمر الزمني

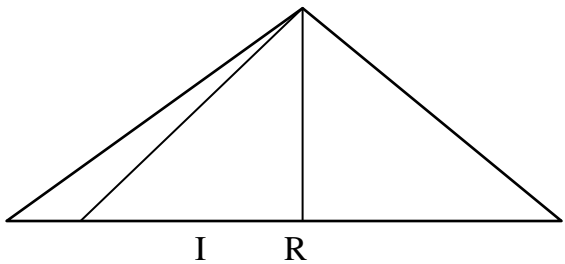

- خط الـ (IM) يمثل نمو التخيل خلال الفترة من الطفولة إلى الشباب.

- خط الـ (R) يمثل العقل أو الإدراك Reason .

وهو يبدأ مؤخراً وينمو أيضاً من خط (IM) .

ويقول : وبعد ذلك يحارب العقل للفوز بالمعركة ، فلا يظهر التخيل بشيءٍ جديد بعد انتهاء فترة الشباب .

وقد توصل اندروز Andrew, 1930 بعد تتبعه لتخيل أطفال ما قبل المدرسة إلى أن القدرة على التحديد والبناء وصلت إلى ذروتها بين الثالثة والرابعة ، ثم تنخفض كلما تقدم الفرد في العمر.

- التشابه Analogy : يصل إلى درجة مرتفعة في سن الرابعة ، وينخفض في سن الخامسة ثم يزداد كلما تقدم الفرد في العمر.

- الدرجة الكلية للتخيل : كانت أ على في سن أربع سنوات ، ثم ينخفض مستوى التخيل في سن الخامسة بدخول الطفل روضة الطفل ثم ترتفع عبر المراحل التعليمية.

- تصل النماذج الإبداعية المرتفعة للتخيل إلى درجة مرتفعة في سن ٣ سنوات إلى ٤ سنوات ، وتنخفض في سن ٥ سنوات ثم ترتفع بعد ذلك بتقدم العمر.

فالتخيل الابتكاري شكل آخر من أشكال التفكير ، وإن إطلاق العنان للفرد قد يبين دوافعه في تخيلاته ، إذا أحسنت طريقة استكشاف هذه التخيلات ، فاستخدام اللعب والدمى مع الأطفال يكشف عن تخيلاتهم . كما أن كتابة القصص ، وفحص صور غامضة قد يكشف الكثير عن هذه التخيلات .

فيلعب التخيل دوراً مهماً وأساسياً في عملية التفكير بوجهٍ عام ، والابتكار بوجهٍ خاص على أساس أن التخيل عملية عقلية ونفسية تقوم على إنشاء علاقات جديدة بين الخبرات ، بحيث تنظمها في صور وأشكال جديدة بين الخبرات ، وليس للفرد خبرة بها من قبل.

ويرى "بيفردج" Beverage 1963 أن التفكير قد يكون منظماً كما هو الحال في خطوات "جون ديوي " (الإحساس والشعور بالمشكلة ، جمع

المعلومات والأفكار المتصلة بالمشكلة ، ثم فرض الفروض ومناقشة الفروض ، والوصول إلى النتائج)، دون أن يكون فعالاً ، فقد يتوصل الفرد فجأة إلى حلول مبتكرة ، حيث أنه لكي يتوصل الفرد إلى أفكار مبتكرة وأصلية ، عليه أن يطلق العنان لخيالاته في حرية ومرونة دون إعاقة.

ثانياً: الخيال Fantasy

هو العملية العقلية العليا التي تقوم على إنشاء علاقات جديدة بين الخبرات السابقة بحيث تنظمها في صور وأشكال لا خبرة للفرد بها من قبل ، وهي تستعين بقدرات التذكر والاسترجاع ، كما تستعين بالصور العقلية المختلفة في إنشاء هذه التنظيمات الجديدة التي تصل الفرد بماضيه ، وتمتد لحاضرة وتستطرد إلى مستقبله ، فتبنى ذلك كله دعائم الإبداع الفني ، والابتكار العقلي والتكيف السوي مع البيئة .

فالخيال نشاط نفسي يتم من خلاله المعالجة الذهنية والحركية لبعض العناصر والمواقف بشكل جديد يعتمد على إعادة بناء الصور بشرط عدم المحاكاة المباشرة للمصادر الحسية والإدراكية لتلك العناصر والمواقف ، وهو بهذا ليس مجرد نشاط ذهني أو أفكار مجردة بل هو نشاط متنوع قد يكون ذهنياً أو حركياً أو تشكيلياً ، المهم هو معالجة عناصر المجال بشكل جديد حيث يبحث في تلك العناصر بالحياة والمعنى ، ويمنحها خصائص لم تكن لها من قبل.

فالخيال Fantasy هو شرود الذهن ، وانتقال إلى عالم الأوهام البعيد عن عالم الحقائق ، ربما يهدف إلى الترويح عن النفس أو التمادي في تتابع صور دون هدف معين ، إن مثل هذا الاسترسال هو ما نمارسه في أحلام اليقظة ، إذ

تتداعى الصور والمعاني بعضها إثر بعض دون غرض خاص ، أما التخيل عملية منتجة تتخير من الصور الماضية ما يوافق غرضاً معيناً ، ويرجى الوصول إلى نتيجة مقصودة ، فهو عملية أساسية تسير أفكارنا على هداها ، إذن فالتخيل عادةً ما يستخدم لوصف العملية أكثر منه وصف للناتج الذي يظهر عادة في شكل أحلام اليقظة أو لعب تخيلي.

ويقاس نمو التخيل لدى الأفراد بتحليل رسوماتهم ، وباختبارات ترصد نوع الصور وعددها التي يراها الفرد ، وبالقصص المبتورة غير الكاملة التي تقرأ عليه ثم يطلب عليه أن يكملها كيفما شاء .

ولهذا تعتبر عملية الإبداع الوظيفة الأساسية للتخيل ؛ فيستعمل الفرد خياله في استحداث استجابات عديدة ومتنوعة ومنفردة.

الخيال الابتكاري :

يعتبر الخيال الابتكاري نوعاً من التفكير الابتكاري ، إذ لا يقتصر التفكير الابتكاري على علماء الطبيعة ، أو الرياضة وحدهم ، إذ يعطينا العلماء معلومات علمية في شكل حقائق ونظريات وقوانين ، بينما يعطينا الفنانون معانٍ فيها خلق وابتكار.

ومن وجهة نظر المؤلف نجد أن الإبداع يمر بعدة مراحل عمرية متناسقة ومتكاملة ، فيبدأ الإبداع في مرحلة الطفولة المبكرة فالإبداع لا يبدأ من فراغ، ولكن نقطة الانطلاقة للإبداع هو الخيال في مرحلة الطفولة المبكرة والمتأخرة سواء أكان خيال إيهامي أو خيال حر أو واقعي ، ثم يتحول الخيال إلى تخيل ، ثم يتحول التخيل إلى تصور، ثم إلى تفكير، وهذا التفكير ينطلق في اتجاهين : اتجاه تفكيري تقليدي يعتمد على القدرة العامة (الذكاء) واتجاه آخر متشعب متنوع "التفكير الابتكاري".

ثالثاً: العبقرية Genius

فالعبقرية من زاوية السلوك هي قدرة الفرد الفعلية على الابتكار في مجالات معينة سواء أكانت تلك القدرة فطرية أم مكتسبة ، فالعبقرية هي ملكة الابتكار والاختراع ، فلكي يكون الفرد عبقرياً ، يجب أن يكون قادراً على كشف النقاب عن شيء جديد في مجالات الفن والعلم والأدب .

فالعبقرية ليست مجرد موهبة عقلية ، بل إنها عملية فريدة لا تمنح للبشر إلا في النادر ، وأن يتصف صاحبها بالأصالة في الفكر، فالعبقري يبدأ من الواقع في أعلى صوره ، فهي براعة خاصة وفريدة ، يحدث ترابطاً معيناً بين الطابع الشخصي ، والفكر الخلاق ، والموقف الاجتماعي .

فالعبقرية كما يرى "مكد وجل" لها صلة بالاتصال العقلي و يرى أن هناك تفسيران للعبقرية ، الأول: أن هناك عقول غيبية تعمل على التأثير في بعض العقول كعقول الأنبياء الملهمين ، والعباقرة ، وذلك بواسطة عقل أقوى من عقول البشر . الثاني: تركيز عدة عقول في عقل واحد ، ولكن "مكد وجل" يركز على التفسير الأول للعبقرية ، فهناك علاقة إيجابية بين جوانب العبقرية وبعض قدرات الإبداع ، والأصالة التي تعتبر كما يذكر "تورانس" أنها أساس الإبداع.

ويرى هانزجراث (1969) Hans Grath أن العبقري يلجأ إلى خياله ، حيث يخترع مجتمعاً آخر غير المجتمع الواقعي، حيث يعوض به عما فقده في مجتمعه الذي ينكر عليه الاحترام والتقدير ؛ لأنه رسم لنفسه صورة تختلف عن الصورة التي رسمها الناس في أذهانهم عن ذلك العبقري ، ولهذا يصر العبقري على الاستمساك بالصورة الذهنية التي رسمها لنفسه ، وقد يقنع نفسه بأن

المجتمعات القادمة التالية لجيله سوف تعترف له بالعبقرية ، ولكن ربما يكون الفرد ليس من العبقرية في شيء ، بل يكون مصاباً بجنون العظمة ، ويكون انتظاره لتقدير الأجيال القادمة له نوعاً من الجنون.

فالعبقرية مصطلح قديم ، فقد استخدم في القرن ١٨ ليشير إلى الملكة التي يستطيع بها صاحبها أن يحقق اكتشافاً بارزاً في مجال العلم أو انتاجاً أصيلاً في مجال الفن ، ثم تطور المفهوم في القرن ١٩ ليدل على الأفراد الذين ورثوا طاقات عقلية كبيرة في العلم الفن وحققوا هشرة واسعة ، وهذا ما ذكره "جالتون" Galton وسبيرمان Spearman في أن العبقرية هي قدرة الفرد على إنتاج جديدة بصورة إبداعية مبتكرة .

فالمحك الأساسي للعبقرية هوالإنتاج الإبتكاري .

أما تيرمان Terman وهو لنجورث HallingWorth فقد ذكرا أن العبقرية تستخدم للدلالة على ذوي الذكاء العالي أو الأفراد الذين يملكون مستوى عالٍ من الذكاء المرتفع.

هذا وقد ارتبط مفهوم التفوق العقلي بالعبقرية وقد شاع ذلك في النصف الثاني من القرن ٢٠ ليشمل ثلاث جوانب هي :

١- وصول الفرد المتفوق عقلياً إلى مستوى معين من أدائه "أداء مميز"

٢- أن يكون هذا الأداء أعلى من أداء أقرانه في عمره الزمني.

٣- لا يقل هذا الأداء عن نسبة ذكاء ١٢٠ على احد مقاييس الذكاء حيث أن التفوق العقلي يُعرف في ضوء محكين : ١- التحصيل الدراسي ٢- الذكاء.

العباقرة والموهوبون :

ليست الشهرة في حد ذاتها هي المعيار للعبقرية ، فالشهرة هي التي تؤدي إلى الحكم بالعبقرية من عدمها ، وقد تظهر العبقرية للفرد في ناحية واحدة ، ويرى "تيرمان" أن العباقرة يكون معامل ذكائهم (١٤٠) فما فوق ، فالعباقرة ينحرفون عن المتوسط الحسابي للذكاء بمدى كبير بلغة الإحصاء.

ويؤكد "لنجورث" أن معامل الذكاء وحده ليس كافياً لتمييز العباقرة إذ يشترط في العبقري بالإضافة إلى الذكاء والقدرة العقلية توفر النشاط والقدرة على العمل الشاق.

حيث إن كلمة عبقري تنسب إلى وادي "عبقر" في شمال المملكة العربية السعودية ، وهذا وادي يسكنه الشياطين والجن ، ويأتون بأعمال خارقة يعجز عنها البشر ، ومن هنا جاءت كلمة العبقرية ، فالعبقرية هي الأعمال العظيمة التي يأتي بها فرد معين لا يصل إليها معظم الأفراد.

ويرى بعض العلماء أن العبقرية هي تركز عدة عقول في عقل واحد ، لدى الفرد .

فمن الناحية التحصيلية كان الموهوبون أكثر تفوقاً من أقرانهم دون أدنى شك ، وخاصة في اللغة والقراءة ، والمواد التي تتطلب التفكير المجرد ، وامتاز الموهوبون بتنوع نشاطهم وميولهم خارج المدرسة .

وقد أثبتت الدراسات التتبعية لهم من ناحية المستقبل المهني ، أن غالبية الذكور نجحوا نجاحاً باهراً إذا صح (٧٥%) يعملون في المهن العالية فقد وصل عددهم إلى الشهرة في القانون والطب وعلم النفس والهندسة ، وكانوا

يمتـازون بالقـدرة علـى المثـابرة والثقـة بـالنفس. فلـو تخيلنـا فئـات العبـاقرة والموهـوبين والمتفـوقين دراسـياً (النبـوغ الدراسـي) والمبـدعين كهـرم ، يـأتي العباقرة في قمته ثم الموهبين ، ثم المتفوقين دراسياً ، ثم المبدعين ، وذلك من حيث تدرج نسبة الذكاء ، ولكن المبدعين يحتـاجون فقط إلـى نسبة ذكـاء لا تقل عن١١٥° على إحدى اختبارات الذكاء . أما الموهوبين فيحتاجون إلى أكثر من ١٣٠° ثم المتفوقين دراسياً يحتاجون إلى نسبة لا تقل عن١٢٥° ، وهذا ما ذكره معظم علماء النفس (جاكسون ، وبالتزمان ، وتيرمان ، وغيرهم) .

رابعاً : التصور

أحد وسائل العقل في استحضار صورة الماضي ، فالصورة العقلية تقوم مقام الشيء عند غيبته في اللاوعي ، والصورة أداة من أدوات التذكر الذي هو وسيلتنا إلى تكوين وحدة حياتنا ، وبهذه الصور نسترجع تجاربنـا الحسية ، ممـا رأينـاه "صـورة بصـرية" ، أو سـمعناه "صـورة سـمعية" ، أو ذقنـاه " صـورة ذوقية" ، ولذا فهو وسيلة الاحتفاظ بخبراتنا العقلية .

فالانتقـال مـن التخيـل إلـى التفكيـر لا يكـون فجائيـاً ، وإنمـا تـأتي مرحلـة وسطى غايـة فـي الأهميـة فـي هذا الانتقال ، ألا وهـي مرحلـة التصـور ، بينمـا يكون التخيل نشطاً في العالم الداخلي ، والحواس نشطه أيضاً .

إذن فالعبقرية يتحكم فيها عامل الوراثة أكثر من البيئـة، حيث أثبتت ذلك دراسة تاريخ حياة العظماء من البشر ، وأنها تنتقل من الوالدين إلـى الأبنـاء ، وقد أثبتت ذلك أيضاً دراسة سلسلة نسب العظماء من البشر ، فمثلاً وجد أن جد "شارلز داروين" "أرام داروين" كان باحثاً معروفاً وشاعراً أيضاً .

فالعبقرية - كما يرى "محمد أحمد سلامة" - وإن كان لها أساس وراثي إلا أن ذلك لا يمكن أن يفسر ظهور عبقري واحد ، فالعبقرية تمثل تركيباً معقداً من العلاقات الوراثية ، فالعبقرية كما يرى "مكد وجل" أنها تركز عدة عقول في عقل واحد. فهي تحتاج إلى نسبة ذكاء عالية جداً لا تقل عن ١٤٠° ، فالعبقرية هي التفرد ، وتعتمد في تفردها على قدرة الأصالة . حيث إن الأصالة تمثل الندرة وعدم الشيوع للأفكار ، وتعتمد أيضاً على الجدة للأفكار والطرافة .

وفي رأيي أن العبقرية تعتمد على قدرة في الإبداع هي الأصالة، والإبداع كما يذكر علماء النفس الإبداعي يعتمد على الأصالة، فلا يوجد إبداع بدون أصالة ، وعلى هذا نجد أن هناك علاقة إيجابية بين الإبداع والعبقرية من الجهة النظرية.

خامساً: الموهبة Talent

أما الموهبة فهي اصطلاح شامل وواسع ، فالموهوب هي كل ذي موهبة، سواء كانت ذكاء ممتاز ، أو قدرة ابتكارية عالية ، أو هي استعداد كامن يتمثل في قدرة متميزة .

فالموهبة هي استعداد فطري ينعم بها الله عز وجل على مَنْ يشاء من عباده بالامتياز والتفوق في مجال من مجالات الحياة المختلفة ، بحيث يبرز منهم صفوة العلماء والمفكرين والمبدعين ، وهذه الموهبة تتطلب بيئة مناسبة لنموها ومناخ نفسي وتربوي ملائم.

وقد شاع استخدامها في بداية القرن ٢٠ وحتى الستينات في هذا القرن ، وهي تعني قدرة الفرد الموهوب على الأداء المرتفع في مجال من مجالات الحياة والتي ترتبط بمجال الذكاء ، وقد ذكر "سيشور" Seachore أنها وراثية.

فالموهبة ارتبطت أيضاً بالتفوق العقلي فهما مزيج من ثلاث محاور هي :

١- قدرة عقلية عامة فوق المتوسط" ذكاء عادي" .

٢- مستوى مرتفع في الإبداع.

٣- مستوى رفيع من الالتزام بمهام أو الدافع للإنجاز .

وهذه المحاور هي نفس جوانب ارتباط العبقرية بالتفوق العقلي مما يدل أن الموهبة والعبقرية تتطلب نسبة ذكاء عالية وأداء متميز.

فالطفل الموهوب يولد ولديه استعداد فطري للتفوق في مجال معين من مجالات الحياة أو العلم . هذا الاستعداد الفطري يمكنه من الأداء المتميز في أحد المجالات المختلفة .

وهناك تعريف لـ ميرلاند Maraland للموهوب والمتفوق هما مَنْ يتم التعرف عليهم من قبل المتخصصين في مجال تعليم الموهوبين ، ولديهم قدرات عقلية عالية تجعلهم قادرين على الأداء بمستوى عالٍ في مجال معين ، مثل الفنون ، الإبداع ، القيادة ، العلم ، الأدب.

الخلاصة أن الموهبة تعتمد على نسبة ذكاء عالية مثل العبقرية ، ولكن أقل منها بدرجة بسيطة ، ولا تقل عن ١٣٠ على أحد مقاييس الذكاء . وتتحكم في الموهبة ثلاث عوامل : الإبداع ، الذكاء ، الدافعية للإنجاز ، فالموهبة هي محصلة التفاعل لهذه العوامل الثلاثة .

فهناك فئات للأفراد الموهوبين مثل : الموهوب عقلياً ، والموهوب إبداعياً، والموهوب أكاديمياً ، الموهوب في الفن ، والأدب ، والرياضة ، والقيادة ..الخ، وهذا الفرد يعتمد في موهبته هذه على القدرات الخاصة.

فالموهبة تعتمد على القدرات التي تنمو بشكل طبيعي غير مقصود في مجال النشاط الإنساني ، وهذه القدرات هي الاستعدادات ، ولكن التفوق يعتمد

على القدرات التي تنمو بشكل مقصود ومنظم ، فالفرد المتفوق يتمتع بقدرة ، أو بأداء فوق المتوسط في مجال من مجالات الاستعداد الإنساني.

أما الإبداع فهو الخلق على غير مثال ، ولابد من توافر المهارة والجدة القيمة ، فهو المهارة في إيجاد شيء جديد له قيمة.

أما العلاقة بين الإبداع والابتكار ، فالإبداع أشمل وأعم من الابتكار ، فالابتكار يُعادل الاختراع والإبداع يعادل الخلق.

فالإبداع خروج من المألوف إلى اللامألوف في اتجاهين : اتجاه يتم فيه تعديل وتطوير الأشياء القديمة في ضوء متغيرات العصر ، مثال ذلك لديك عربة أو سيارة قديمة موديل ١٩٧٥ ، فأنت تضيف لها تعديلات و تحسينات حتى تأخذ شكل السيارة الحديثة وتتمشى مع موديل ٢٠٠٠ مثلاً ، وهذا هو الابتكار بمعنى أنك ابتكرت وأضفت بعض التحسينات حتى أخذ الشيء شكل جديد أصبح له قيمة وفائدة .

الاتجاه الآخر الخروج في اتجاه جديد ، أي الإتيان بالجديد الذي ليس له مثيل ، وهذا الخلق مثل خلق الإنسان من العدم ، فالخلق ينسب إلى المبدع الأول، وهو لله عز وجل ، ففعل يبدع : إبداعاً. مثل قوله {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } ، { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} صدق الله العظيم.

فالابتكار مأخوذ من لفظ بَّكر ابكاراً ، وعلى هذا فالابتكار جزء من الإبداع ، فلا يوجد ابتكار بدون إبداع ، وليس العكس. إذ كل مبدع يمكن أن يكون مبتكراً وليس العكس.

فالابتكار له معايير ، فهو يبدأ بالعملية العقلية وينتهي بالإنتاج الابتكاري. فالعملية العقلية في الابتكار تبدأ بالإعداد ثم التخمين أو التحضين ثم الإلهام أو

الإشراق ، ثم الإنتاج ، ثم التحقيق من هذا الإنتاج ، وهذا التحقيق يشمل المعايير وهذه المعايير هي القبول الاجتماعي ، التعريف أو التحديد للإبداع ، أي ما المقصود بالإبداع في المجال الذي يستخدم فيه الإبداع ، ثم القيمة ، الفائدة ، الجدة ، الاستمرارية ، الأثر ، الواقعية، توصيله للناس للاستفادة منه.

وعلى هذا نجد أن المبدع يحتاج إلى نسبة من الذكاء حددها علماء النفس الإبداعي ، بأنها لا تقل عن ١١٥° ، على أحد اختبارات الذكاء، وهذا تمييزاً عن المجنون الذي تدهورت لديه القدرة العقلية ويأتي بأعمال خرافية (هذائية).

فالعلاقة بين الذكاء والإبداع علاقة منخفضة ، ولكن الإبداع يحتاج إلى هذه النسبة السابقة الذكر .

وعلى هذا نجد أن العبقرية في جانب منها تعتمد على الموهبة والموهبة في أحد جوانبها تعتمد على الإبداع وخاصة قدرة الأصالة.

الإبداع والذكاء يقومان على مهارات عقلية مختلفة ، فالذكاء كما يقاس باختبارات الذكاء يعتمد على قدرات التفكير بطرق تقليدية والتوصل إلى حل واحد صحيح لكل مشكلة ، حيث يطلق "جيلفورد" عليه مصطلح "التفكير التقاربي".

أما الإبداع فيطلق عليه "جيلفورد" مصطلح "التفكير التباعدي" ، أي النشاط العقلي الإبداعي الأصيل الذي ينحرف عن الأنماط المعتادة المألوفة ، والذي يؤدي إلى أكثر من حل واحد مقبول للمشكلة بشرط أن يكون حلاً جديداً فريداً .

ويعتبر الإبداع قدرة خاصة متميزة لحل المشكلة حيث إنها تمكن الأفراد من إنتاج أفكاراً أصيلة أو منتجات (أو أشياء) تتميز بأنها تكيفية ، أي تؤدي وظيفة مفيدة .

الخلاصة أن هناك وجهتا نظر تجاه العلاقة بين الإبداع والذكاء ، أحدهما ترى أن هناك عوامل التفكير المنطلق هي المسئولة عن الإبداع.

أما الأخرى فترى أن هناك عوامل عقلية ، وترى أن الذكاء العام هو المسئول عن الإبداع.

ويتميز الأفراد المبدعون بدرجة ما من الدافعية تتمثل في ا لتوتر النفسي والنشاط العام تمكنهم هذه الدافعية من القدرة على الإنتاج الابتكاري الذي يتطلب قدراً أكبراً من المثابرة ، لتحقيق هدف معين ، ذلك الهدف يمكن تحديد في الإنتاج الابتكاري .

ويرى مادي Madi (١٩٦٩) أن هناك دافعين أساسيين في العمل الإبداعي هما: الحاجة إلى الجودة ، والحاجة إلى الأصالة ، فالدافع الأول هو رغبة الفرد المبدع في توظيف إمكاناته بالطريقة التي يرى نفسه فيها مؤدياً لأعمال ذات قيمة ، وهذا الدافع هو السبب في المثابرة في العمل ، والذي يجعله يصل إلى صورة يشعر فيها بالاقتناع بهذا الدافع.

أما الدافع الثاني هو الحاجة إلى الأصالة ، فهي التي تكشف عن نفسها من خلال الاتجاه إلى الأعمال الفريدة غير العادية ، نظراً لأنها تحمل عنصر الاستجابة الانفعالية التي يحس بها المبدع.

فالفرد الذي تغلب لديه الحاجة إلى الجودة عن الحاجة إلى الأصالة يميل الاتجاه إلى حرفية في الفن أكثر من اتجاهه إلى الإبداع فيه ، ولكن إذا توازنت درجة هاتين الحاجتين لديه فإنه يجمع بين الحرفية والإبداعية.

ولهذا نجد أن الأسرة مسئولة عن نشأة الإبداع في البداية، وعلى المناخ النفسي والتربوي السائد فيها يعتمد نمو الإبداع لدى أبنائها .

فالمناخ النفسي الذي تهيئه الأسرة لأبنائها من خلال معاملاتهم السوية لهم من شأنه أن يعمل على تنمية إمكانات الأبناء الابتكارية إن وجدت ، ونمو الإبداع لدى الأبناء يتوقف على إدراك الأب وتفهمه لحقيقة دوافعه في معاملته لابنه ووعيه بحاجاته السيكولوجية والعاطفية المرتبطة بنموه ، وبأن الطفل لديه استعدادات وقدرات تختلف عن غيره من الأطفال.

فإذا ما تحقق هذا النمو النفسي السوي أصبح بمثابة المناخ الذي يعطي الفرصة للأبناء ، لكي يظهروا إمكاناتهم وقدراتهم الابتكارية ، يعبرون عنها .

حيث أن مهمة الأباء الحقيقة تكمن في معرفة ثروة الطفل النفسية وهي ثروة وجدانية ، فإن لم يهيأ له الجو الملائم لإرهاف حساسيته وتوسيع خياله قلت عنده القدرة على الابتكار .

وفي رأيي أن الإبداع مصدره الخيال ، فالأسرة مسئولة على توسعة وزيادة خيال الفرد عن طريق القصص والحكايات وخاصة التي تحكي له قبل النوم ، وكذلك رؤيته الأفلام التي تشجع الخيال العلمي ، فإذا تم ذلك الخيال فهذا يؤدي إلى زيادة التخيل ، والتخيل يؤدي إلى التصور، والتصور يؤدي إلى تفكير، وهذا التفكير يعتمد على المصدر الأول وهو الخيال ، فإذا كان هذا الخيال واسعاً كان الفرد مبدعاً ، وله مستقبل باهر . أما إذا لم يتسع خيال الفرد وكان عادياً ، كان تفكير الفرد عادي مثل بقية الأفراد في المجتمع ، وبالتالي يكون ذكائهم عادياً نمطياً يتصف بالجمود الذهني.

سادساً: الذكاء الانفعالي :

حيث تكلم الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ١٩٠٢ H.Bergson عن الجهد العقلي "الانفعال الأسمى من العقل " والذي تتطلبه العمليات العقلية على اختلاف درجاتها في البساطة أو التعقيد.

فعندما نتذكر وقائع ماضية أو نقوم بتفسير وقائع حاضرة أو نحاول فهم إحدى الخطب أو متابعة تفكير أحد الأشخاص الآخرين أو نحاول الإصغاء إلى أفكارنا أو الانشغال بتفهم أحد الأنساق المعقدة في كل هذه الحالات نشعر بأننا نتخذ أحد موقفين : الأول يغلب عليه التوتر "الانفعال" ، حيث يكون لدينا شعور بالجهد ، والآخر يغلب عليه الاسترخاء حيث لا يكون لدينا هذا الشعور بالجهد ، وبمقدار تعقد حالة التركيز العقلي يكون الجهد العقلي الذي يصاحبها ، ويتبع برجسون "طابع الجهد العقلي في التصورات البسيطة التي تقتضي إعادة الإنتاج كالتذكر والاستدعاء وفي التصورات الأكثر تعقيداً ، كما تتمثل في الإنتاج الإبداعي أو الابتكاري فيرى أنه إذا كان الإبداع يتمثل في حل إحدى المشكلات فإن هذا الحل - كما يذكر ريبو Ribot - لا يتم إلاّ بتصور "مقال" يحاول الفرد المبدع بلوغه ، وعندئذ يكون كل جهد إنما هو محاولة للتوصل إلى وسائل لتحقيق هذا المثال ، وهذا المثال عبارة عن "كل" يقدّم نفسه كتخطيط والابتكار والإبداع هو تحويل هذا التخطيط إلى صورة ، ويصبح التصور التخطيطي تصوراً محققاً في صور وهذا يحدث للمؤلف أو الكاتب أو الموسيقي أو الفنان أو العالم .

إذن فالطابع الوجداني يضفي لونه على كل جهد عقلي.

ويميز "برجسون" حلة التوتر العقلي عند حالة الاسترخاء العقلي بالرجوع إلى المصاحبة الوجدانية للتصور .

فبرجسون ١٩٣٢ يفسر النشاط الإبداعي بنوع من الانفعال ، لكنه انفعال أسمى من العقل ، فهو انفعال ليس بحسب أنه يعد حافزاً للذكاء ، بل لأنه توجد انفعالات خلاّقة قد ينشأ عنها تفكير خلاّق ، لهذا فإن الإبداع وإن كان عقلياً ، فإن جوهره قائم على الحساسية والانفعال ، ويميز "برجسون" بين نوعين من الانفعال:

النوع الأول من هذه الانفعالات يلي فكرة أو صورة متصورة ، ومن ثم تكون الحالة الانفعالية ناتجة عن حالة عقلية مكتفية بذاتها ولا تدين لتلك الحالة الانفعالية بشيء ، وإذا خضعت هذه الحالة العقلية لتأثير الحالة الانفعالية فإنها تفقد أكثر مما تكسب ، وهذا النوع من الانفعالات أدنى من العقل ، وهو الذي يتجه إليه تفكيرنا عند المقابلة بين الحالات الوجدانية والحالات العقلية .

أما **النوع الثاني** من الانفعالات فهو سبب للحالات العقلية التالية له ، وليس ناتجاً عن تصور عقلي يعقبه انفعال يظل متميزاً عنه ، فهو حالة وجدانية ملأى بالتصورات ، وهذا الانفعال يجذب جوهرها عن طريق ما يتيحه لها من نمو عضوي فهو انفعال أسمى من العقل ، أي يسمو على كل معرفة استدلالية ، ولا يفهم من هذا سمو قيمته فحسب بل يُفهم كذلك السبّق في الزمان سبق السبب على النتيجة .

ولهذا فإن هذا النوع من الانفعالات وحده هو الذي يمكن أن يؤدي إلى أفكار إبداعية ، فالإبداع عن برجسون" هو انفعال قبل كل شيء معتمداً أساساً على استبطان عميق لانعكاس الشعور على نفسه خلال عملية الإبداع.

فمن مكونات الذكاء الانفعالي Emotional intelligence معرفة الذات "أعرف نفسك" أو الوعي بالذات كما ذكر "جولمان" ، وهو الانتباه المستمر للفرد للحالات الوجدانية الداخلية حيث يلاحظ العقل ويتفحص الخبرة الانفعالية.

فالوعي بالذات يتطلب أن تكون القشرة المخية في حالة نشاط وخاصة في مناطق اللغة بحيث تستطيع تحديد وتسمية الانفعالات المستثارة ، فهو يتضمن أيضاً الوعي بالانفعالات والمشاعر والأفكار ، وهذا هو الكفاءة الوجدانية الأساسية التي يبني عليها غيرها من الكفاءات الشخصية ، فهو حالة تأمل ذاتي.

القدرة على حفز النفس على العمل والإنجاز ، فالقدرة على حفز ا لنفس والعواطف والمشاعر الإنسانية على العمل لتحقيق الأهداف وتقديم العمل وتأخير الراحة هي م أهم عوامل النجاح والإبداع.

إذن فالجهد العقلي (الانفعال الأسمى من العقل) في رأي الشخصي يتضمن الوعي بالذات ، والقدرة على حفز النفس للعمل والإنجاز والإبداع ، وهما مكونان أساسيان من مكونات الذكاء الانفعالي.

وهذا ما أكده هوارد جاردنر Gardner ١٩٨٣ عندما صنَّف الذكاء الشخصي Personal intelligence إلى شقين : أحدهما الذكاء الذاتي Interpersonal والثاني الذكاء الاجتماعي المتصل بالعلاقة بين الفرد والآخرين، فالذكاء الذاتي "الوجداني" للفرد يتضمن القدرة على التفريق بين الانفعالات المختلفة ، وتسميتها ، ومعرفتها وتوظيفها.

فالذكاء الوجداني يجمع بين الانفعالات الشخصية ، وانفعالات في سياقها الاجتماعي ، فهو أيضاً قدرة عقلية تعمل من خلال التفاعل بين الجانب العقلي والوجداني للفرد.

فالفرد الذكي انفعالياً لديه القدرة على إظهار الانفعالات التي يريدها ، رغم أنه لا يحس بها فعلاً ، كما أن لديه القدرة أكثر من غيره في استثارة الانفعال بصورة تساعده على التفكير والانتباه لمثير ما يصوره أفضل إلى جانب القدرة على السيطرة على انفعالاته بطريقة تنمي قدراته العقلية والوجدانية ، ويمكن القول بأن الحساسية للمشكلات باعتبارها سمة إبداعية هي الأقرب للذكاء الانفعالي ، فالذكاء الوجداني هو في الأساس مجموعة من القدرات العقلية.

إذن في ضوء ما سبق - وفي رأي الشخصي - نجد أن الأصالة باعتبارها الأساس في ظهور الإبداع وبدونه لا يكون هناك إبداع ، وباعتبار أن الأصالة تتطلب نسبة ذكاء عالية أكبر من أي قدرة إبداعية أخرى ، وأن الفرد المرتفع في الأصالة مرتفع ذكائياً، وهو الشخص ذو الذكاء الانفعالي ، فالذكاء الإنفعالي له دوراً مهماً وأساسياً في ظهور الإبداع وخاصةً أن الذكاء الانفعالي يعتمد على استثارة الانفعالات نظراً لوجود مثير غامض في البيئة يستثير هذه الانفعالات ، وبدون استثارة لهذه الانفعالات لا يوجد تفكير ولا استخدام عمليات عقلية عليا لدى الفرد باعتبار أن هذه العمليات هي الأساس للتفكير الإبداعي.